

عز الدين ميهوبي: لا يوجد صراع ثقافي في بلادنا وهجوم المثقفين يدخل في حيوية المشهد

وزير الثقافة الجزائري يقول إنه لا سبيل لتحقيق التطور إلا بالكتاب والقراءة

الجزائر: داليا عاصم

في هذا الحوار، يكشف وزير الثقافة الجزائري عز الدين ميهوبي عن مصاعب وتحديات العمل الثقافي الجزائري، ويعلن عن استراتيجيته في ظل بداية الموسم الثقافي والأدبي الذي بدأ بفعاليات «زاخمة»، وسيشهد بعد أيام انطلاق معرض الجزائر الدولي للكتاب.

وتحدث ميهوبي أيضاً عن المشهد الأدبي الجزائري وخصوصيته و«الصراع بينه وبين معارضيته واتحاد الكتاب الجزائري»، وكيف يوازن بين رجل الدولة والمبدع.

وقد جرى الحوار في مكتبه المطل على رابية تشرف على ضفة المتوسط.

هنا نص الحوار:

«هناك كثير من القضايا المثيرة للجدل في الوسط الثقافي الجزائري، ما تصوراتك ورؤيتك لمستقبل الثقافة في الجزائر؟

-الثقافة الجزائرية تعيش مرحلة انتقالية... هناك حيوية في المشهد الثقافي الجزائري في السينما والتراث والمسرح والفنون... وهذا تم به «دسترة الثقافة»: فلم تعد الثقافة العجلة الحامسة في المركبة بل عجلة أساسية، الثقافة لم تعد مسألة كالية بل حق من حقوق المواطن الجزائري في الدستور الجزائري عام 2016، فحن نسعى للانتقال بالثقافة من كونها شأن الدولة إلى أن تكون شأنًا مجتمعيًا. الدولة تترافق كل مبادرة ثقافية وتؤمن شروط العمل الثقافي وإنشاء بيئة ثقافية وتأمين البنية التحتية من متاحف ومراكز وتعمل... وغيرها.

«ما الملف الملح لديك الآن؟

-تنظم «جلسات الثقافة»، وهو لقاء وطني كبير سيشارك فيه الفاعلون في الحقل الثقافي يقدمون فيه أفكارهم ومقترحاتهم لتبادل الآراء لنخرج بوثيقة تصوّر مستقبلنا، ومنتج ثقافي يمكن تحويله لمنتج اقتصادي وسيكون اللقاء قبل نهاية العام. وحالياً نحافظ على تنظيم الفعاليات الكبرى أهمها «المعرض الدولي للكتاب» وستكون الصين ضيف شرف، وبمشاركة نحو 950 دار نشر عربية وأجنبية، ويصادف هذا العام مرور 60 عاماً على العلاقات الصينية الجزائرية. وسوف تُقام كثير من الفعاليات الثقافية عالية المستوى في الجزائر والصين.

«هناك حالة من الحراك الثقافي على مستوى الشعر والكتابة الأدبية والسينمائية في الجزائر، وأخيراً انطلقت مجموعة شبابية «فاي» للنبوض بالشعر، فما السر وراء هذه الانتعاشة؟

-الاجتماع الجزائري يعني جيداً أنه لا سبيل لنا في التطور والمعرفة إلا بالكتاب والقراءة، ولدينا سلوك مدني يمتاز خلق حراكاً ثقافياً جماهيرياً، مثل: مبادرات للقراءة بإنشاء مكتبات في الشارع، كل مدينة أصبحت تقوم بهذا: «وهران تقرأ»، و«قسنطينة تقرأ»، ترافق هذه الجهود بالكتب أو الدعم. أيضاً في جميع المجالات يوجد هذا الوعي بأهمية المعرفة وقيمة التراث، هناك أيضاً تظاهرة «متحف الشارع» حيث تنظم المتاحف فعاليات للجمهور ويتعرفون على ما تحويه المتاحف ولكن في الشارع.

«نعم، الذي يزور الجزائر سيجد اهتماماً كبيراً بالمواقع والمعالم التراثية لكن كل ذلك لا يتم الترويج له، لماذا؟

-هناك مخطط عام في الدولة لوضع مسار سياحي يتنقل فيه السائح عبر كثير من المواقع الثقافية والأثرية التي تضمها الجزائر، وستكون تجربة أولى في هذا المجال. ونطمح في الاستفادة من التجربة المصرية في مجال الآثار المرتبطة بالأهرامات، خصوصاً أن لدينا أهرامات في الغرب الجزائري نسعى لتصنيفها ضمن قائمة «اليونسكو» للتراث.

«من ملاحظاتي الأخرى، هناك شبه غياب للفن التشكيلي.

-خلال الأربعة أشهر الماضية قدمنا أول سوق للفن التشكيلي الجزائري بمشاركة أكثر من 200 فنان تشكيلي عرضوا ما يزيد على 800 عمل، وبدأنا نؤسس لهذه السوق، وننظم أياماً دراسية خاصة للفن التشكيلي ليصبح جزءاً أساسياً من منظومة الاقتصاد، وسجلنا فتح أروقة خاصة للعرض والبيع.

«جرايك، هل ثمة خصوصية أدبية جزائرية وسط خريطة الإبداع العربي... ما ركائزها وملامحها سواء على المستويين الفكري أو الجمالي؟

-هناك تقاليد ثقافية في الجزائر وموقعها يؤهلها أن يكون لها أكثر من سقف لغوي هذا سهل للأدب الجزائري الوصول عبر ضفة المتوسط لدور نشر مختلفة، أيضاً الثقافة الجزائرية في بعدها العربي والأفريقي والأوروبي المتوسطي والإنساني مما مكن المبدع الجزائري من أن يكون لديه لمسة خاصة به، على الرغم من وجود بعد محلي لكنه يصل للقارئ حيثما كان، وهذا ربما ما مكن الجزائريين من نيل كبرى الجوائز الأدبية في الخارج على الصعيد العربي والأوروبي.

«ماذا عن أزمة اتحاد كتاب الجزائر... هل سيتم حلها قريباً؟

-هناك خلافات بيني وبين القيادة الحالية لاتحاد الكتاب الجزائري، وأرى أنه يمكنها أن تنتهي بمجرد أن تفرض نفسها بمشروع ثقافي حقيقي، وأن يكون للاتحاد حضوره الواسع في مختلف الفعاليات وآلا يضع كثيراً من الفرص... هناك خلاف منهجي في النهاية.

«الفرنسية والعربية.. هل ما زال الصراع بين الفراكفونيين والمعرين قائماً؟

-لا يوجد صراع ثقافي في الجزائر... هذه التصنيفات تم تجاوزها... وكل ما ينتج ثقافياً يصبُّ في مصلحة الثقافة الجزائرية بدليل أن جوائز «آسيا جبار»، وجائزة «محمد ديب»، وجائزة «بمينة مشاركة» التي تم إطلاقها أخيراً، تقدم باللغات الثلاث العربية والفرنسية والأمازيغية. كان ذلك الصراع في فترة معينة ربما لكن الآن هناك الإنتاج الثقافي المتنازع.

حزب وجود كبير من دور النشر الجزائرية التي يزيد عددها على الألف، نجد أدباء جزائريين يشيرون أعمالهم بالخارج، فكيف ترى ذلك؟

-نحن نشجع ذلك، لأن النشر خارج الجزائر يصل بالأدب الجزائري لمزيد من القراء ويفتح أسواقاً جديدة له، بل إن النشر في الخارج يشجع الناشر الجزائري على تشجيع هذه الأقسام في الداخل. وكله يصب في انتشار الأدب والثقافة الجزائرية.

«كيف ترى واقع الشعرية العربية الآن؟»

«الشعر مظلوم إعلامياً بالنظر لانتعاش الرواية للمشهد الإعلامي وكونها الأكثر حضوراً في حياة الناس... أؤكد دائماً أن الشعر يسعى لأن يكون له حضوره الخاص رغم محدوديته، الشعر باقٍ ما بقي الشعور الإنساني... والذاتية العربية تنطلق دائماً من الشعر والتصيدة.»

«علمك الشعري يمزج الموروث الشعبي والرموز مع مفردات ورؤية حدائية... هل تحرص على ذلك؟»

يجب على المبدع الانفتاح على محيطه الثقافي، وربما الكتابة للمسرح والسينما والشعر والرواية والمقال الثقافي والسياسي وكثرة هذه الاهتمامات وضعتني على تماس مع تجارب أخرى وتماس مع الحداثة وثقافات أخرى إلى جانب الجزء الثقافي الموروث والمكتسب من المحيط الاجتماعي، وأيضاً من خلال المشاركة في مهرجانات عالمية كل هذا شكّل تجربتي الشعرية.

«خضت تجربة الكتابة الروائية، بدأتها برواية «اعترافات أسكرام»، فهل سوف تعاود التجربة قريباً؟»

-بعد «اعترافات أسكرام» صدر لي رواية «إرهايبس» عام 2013، وستكون حاضرة بالفرنسية في المعرض الدولي للكتاب 2018، وأسعى من خلالها لمحاولة تفكيك أسئلة الإزهاق، ماذا لو كل إرهابيو العالم أسسوا دولة في جزيرة وانضم إليهم كل الديمويين والقتلة الذين عرفوا في التاريخ، كيف سيكون هذا الكيان؟ وهل سيكون محكوماً بعد إنساني؟ كتبها قبل ظهور «داعش»، وفيها ستجدين بينوشيه وبوقاصه وبن لادن وهتلر وغيرهم... هذه الأسماء هي التي تؤسس لهذا العمل الروائي، وكُتبت بأسلوب سينمائي «سيني - واية» كأنها فيلم افتراضي بتفاصيل وحوار يراها القارئ في مخيلته.

لي عمل رواي مقبل أنجزت نحو 70 في المائة منه... شرعت فيه حينما التحقت بالوزارة، وهو يعرج على الصراع في الشرق الأوسط ينطلق مما تعيشه المنطقة لكنه يوغل في التراث قليلاً.

«بشأن الهجوم الأخير ضدك وتوقيع 100 ميثاق جزائري عريضة ضد وزارة الثقافة، لم نجد رد فعل من جانبكم، فما السبب.»

-هذا يدخل في حيوية المشهد الثقافي الجزائري... وهي مسألة محممة... أحياناً يكون الجرس يدفع للالتفات إلى مجموعة من المثقفين وعلينا التفاعل معه بإيجابية، ربما بعض الأشياء لها خلفيات أخرى لكنني أحترم هؤلاء المثقفين الذين يريدون أن يتسع المجال، وأن تتوفر البيئة الصحية لإنتاج ثقافي مستديم وهذا الذي نعمل لأجله. التوقيت صعب... في ظل نقص الإمكانيات ولكننا نهدف لتحسين البيئة الثقافية.

«وماذا بشأن الجدل الدائر حول فيلم «أحمد باي»»

ليس هناك اعتراض على الفيلم لكن بعض الناس فهموا أن التعاقد مع فنان عالمي مثل جيرار دو باردو أمر سيضر بالعمل، هو صاحب باع طويل أكثر من 50 عاماً في الحضور والتأثير في المخيلة السينمائية العالمية. نحن لا نخوض في حياة الفنان الشخصية. كل فنان له حياته الخاصة وهو مسؤول عنها. أنا أريد أن آخذ من هذا الفنان هذا الجانب الإبداعي في هذا المشروع السينمائي. هل خاض المصريون مسيرة ضد إليزابيث تيلور لأداء دور كليونباترا؟ هل خرج الليبيون ضد أنتوني كوين في دور عمر المختار؟ للأسف، حاول البعض إعطاء هذه الضجة غطاء حول حياة هذا الفنان، في حين أنه رجل له إلمام كبير بالثقافة العربية، وهو أحد المعجبين بأم كلثوم ويقراً لابن رشد. نتنظر أن نشاهد فيلماً ناجحاً من أنجح الأفلام السينمائية التي تتناول شخصيات المقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي.

«في هذا الصراع بين العمل الرسمي والإبداع، أيها ينتصر؛ ميويي الشاعر والروائي أم الوزير؟»

-أنا مكلف بمهمة إدارة الشأن الثقافي وسعيد بهذه الثقة التي مكنتني منها الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، وأتمنى أن أكون في مستوى هذه الثقة... نشأت كل حياتي في مجال الحقل الثقافي سواء في اتحاد الكتاب أو في مجال المسرح والسينما، وهو ما سهّل طبيعة عملي وخدمة الثقافة الجزائرية، لكن الإمكانيات ليست بحجم التطلعات، ومع هذا نجهد أن نقدم الأفضل.

«هلن تقرأ؟»

-أقرأ الكتب الفكرية والاستراتيجية التي تتناول تحولات العالم في بعدها الأيديولوجي، وتشكلات الوعي الجديدة في ظل الثورة الرقمية. وأسعى لاقتناص بعض الحالات الأدبية التي تفرض حضورها... قراءاتي الأدبية قليلة جداً وأكبر الوقت لقراءة الأعمال الخاصة بالأدباء الجدد ودعم الموهوبين منهم.

«أخيراً، إلى أي شيء ينتظر الخطاب الثقافي العربي؟»

-عليه أن يتجاوز الأدبيات الكلاسيكية. تبديل الخطاب يحتاج لإبدال ممارسة بأخرى وليس مفردة بأخرى. يجب اختراق عقل الآخر بكثير من الأعمال، بشرط خلوها من العنتريات وتوظيف الماضي فقط.